



مركز سمر الدلائل للإستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

الإعلام والتنمية.. رابطة لا تنفصم وعلاقة غائبة في تجاربنا العربية!

مدخل:

ترتبط عملية التنمية السليمة في الوقت الراهن، بالإسناد المجتمعي، ولا يمكن أن يتم هذا من دون أن يكون هناك جهد دعائي وإعلامي جيد، يربط أمانى الشعوب وتطلعاتها، بانجاح حراك التنمية الراهن، ويعمل على حشد طاقاتهم لتحقيق مستهدفاتها قريبة وبعيدة المدى.

وكلاهما – الدعم المجتمعي والتنوير الإعلامي – أحد أهم عوامل إنجاح التجارب التنموية وفق المعايير التي وضعتها الأمم المتحدة للتنمية في الألفية الجديدة، في منتصف التسعينيات الماضية، ضمن منظومة من المفاهيم الجديدة التي تبنتها بعد انتهاء الحرب الباردة، مثل قواعد الحكم الرشيد التي تتضمن الحوكمة والشفافية والمحاسبة، والتوزيع العادل للثروة والسلطة.

وفي حقيقة الأمر؛ فإن هذه القضية ترتبط بشكل عام بنقطة مهمة أو اشتراط مهم في إنجاح أي مجال سياسي، وهو الحاضنة المجتمعية، التي هي ضمانة إنجاح أي حراك سياسي؛ فمن دون الحاضنة الاجتماعية؛ لن يتمكن صانع القرار من أخذ قرارات قد تكون مؤلمة في مجالها الزمني القصير، بينما هي تحقق الكثير في المديين المتوسط والطويل، وهو ما يتحقق من خلال الإعلام.

وبالتعمق أكثر في معايير الحكم الرشيد والتنمية الشاملة المستمرة؛ سوف نجد أنها في الدول المتقدمة، تعكس فهماً للتطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يمر بها العالم، وأنها فرضت شكلاً من أشكال التعقيد في النشاط الإنساني، وعلى رأسه حراك التنمية بمفهومها العام والشامل، والذي يتضمن مجموعة من الاعتبارات، من بينها ضمان المشاركة المجتمعية في عملية التنمية.

وهو ما لن يتم بغير الإعلام، الذي يعمل على تنوير المجتمع بواقع ومتطلبات خطط التنمية، وإفهامه بأن هذه الخطط تصب في صالح الفرد والوطن، ومن ثم ضمان التفاعل الإيجابي من جانب الأفراد والجماعات.

وبخلاف هذا الاعتبار الخاص بضمان المشاركة المجتمعية في خطط التنمية، فإن صيرورات التطور التي فرضتها التحولات الحضارية التي طالت المجتمعات الإنسانية، جعلت هناك العديد



مركز سيم للدراسات الاستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

من الأركان والأعمدة لا يمكن لأي مجتمع إنساني متقدم أو يسعى للتطور، أن يكون خاليًا منها، ومن بينها الاقتصاد والتنمية والإعلام.

ولأن كل هذه المجالات، مهمة للغاية في تحقيق التطور المنشود للمجتمعات الإنسانية والدول؛ فإن التكامل والتفاعل فيما بين مختلف هذه الأركان يُعتبر أحد الأمور المطلوبة.

تحرير المفاهيم:

وقبل مناقشة هذه القضية المهمة للغاية في حقيقة الأمر؛ فإنه من الأهمية بمكان العمل على تحرير المفاهيم أولاً.

دور الإعلام في التنمية، يعني "إعلامًا" و"تنمية".

والإعلام هو في الأصل المعلومات؛ حيث المصطلح المرادف له في اللغات اللاتينية هو "Information"، أما ما يعرفه العامة بالإعلام فهو وسائل الإعلام، أو "The media"، وهي الوسائط التي تنقل الأخبار والمعلومات، وتقوم بأهم مهمة في هذا المجال الذي نناقشه؛ وهو صناعة الوعي أو تشكيل مفاهيم الجمهور، ومنها وسائل الإعلام الجماهيري "Mass media"، وهي الوسائل الأكثر انتشارًا مثل التلفاز والراديو والصحافة، ومنها الإعلام الرقمي أو الإعلام الجديد الذي يتضمن المعلومة والخبر في إطار رقمي حديث، مثل الإنترنت ووسائل الهاتف المحمول الذكي "Smart phone"، وهذا يسمّى بالـ "Info media" أو الـ "New media".

وبالنظر إلى ما سبق؛ فإن أهم وظائف الإعلام هو نقطة صناعة الوعي، وحشد الجماهير، وتعريفهم بالآراء المختلفة حول موضوع ما، وترجيح بعض هذه الآراء والمواقف.

ويتم ذلك من خلال وسائل الإعلام غير المباشر – أي التي يوجد فيها وسيط بين المرسل والمتلقي – مثل التلفاز والصحف وغير ذلك، أو الإعلام المباشر، والذي يستند إلى الاتصال المباشر من دون وسيط بين الطرفين، وهما هنا: الدولة أو الحكومة، والمجتمع، مثل المؤتمرات والندوات والنشاط الطبيعي وغير ذلك.



مركز سيم للدراسات الاستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

أما التنمية "Development"؛ فهو - كما هو واضح من اسمها - تعني الإنماء والزيادة، ولكن ليس في المجال الاقتصادي كما يتصور البعض؛ وإنما هي عملية أعم وأشمل من ذلك؛ حيث تضم جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، بل والفكرية والثقافية كذلك.

فخلاصة التعريفات التي وضعتها الأمم المتحدة وأدبيات أخرى؛ فإن التنمية هي عنصر أساسي للاستقرار والتطور الإنساني والاجتماعي، وهي عملية تطور شامل أو جزئي مستمر وتتخذ أشكالاً مختلفة تهدف إلى الرقي بالوضع الإنساني إلى الرفاه والاستقرار والتطور بما يتوافق مع احتياجاته وإمكانياته الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، وتعتبر وسيلة الإنسان وغايته.

وبالتالي؛ فإن التنمية بجانب أنها عملية شاملة ومستمرة، وكذلك متكاملة؛ فإنها - فيما يخص محور الحديث الرئيسي - هي:

- عملية تغيير ونقل للمجتمع، نحو الأفضل، مع الانتفاع من التغيير.

- تهدف إلى زيادة الموارد والإمكانات الداخلية للمجتمع.

وبالتالي؛ فهي أكثر العمليات التي تحدث في أي مكان، اتصالاً بالمجتمع.

وهناك أشكالٌ عدة للتنمية؛ فهناك التنمية البشرية، وهناك التنمية الاقتصادية، وهناك التنمية المستدامة، أي التي تأخذ الاعتبارات البيئية في حسابها، وكلها وغيرها، صورٌ يجب أن تتكامل مع بعضها البعض؛ لكي تكوّن فيما بينها عملية تنموية صحيحة وناجحة.

تجارب التنمية في العالم الثالث وخصائصها وقضية الإعلام:

من بين أهم التجارب التنموية التي ألهمت العالم الثالث، وكان لها صدًى كبير على مستوى العالم، هي التجربة الهندية، التي أفرزت الكثير من التجارب المماثلة في إقليمها، مثل تجربة الاقتصادي البنجالي محمد يونس الذي نال جائزة نوبل في الاقتصاد في العام 2006م عن تجربة "بنك جرامين" أو "مصرف الفقراء" الذي أسسه لدعم المشروعات الصغيرة والمتناهية الصغر في المجتمعات المحلية الأكثر فقراً في بنجلاديش.



مركز سيم للدراسات الاستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

وكان للدعاية – بمعناها الواسع غير الممجوج المتعلق بالبروباغندا – والإعلام بالمعنى الواسع كذلك المشار إليه سلفاً؛ عظيم الأثر في تحقيق أمرين:

- تعريف المجتمعات الأكثر فقراً، والأدنى في سلم التعليم بخطط ومستهدفات التنمية.

- تحريكها للتعاون في العمليات والسياسات التنفيذية.

وفي كتاب "التنمية حُرية" للكاتب والمفكر الهندي البنجالي المولد أمارتيا صن – بكسر الصاد، وتُكتب "Sen" بالأحرف اللاتينية – والذي عايش المجتمع الهندي بمختلف مشكلاته وظواهره مثل الصراع الطائفي وتعدد الثقافات الاجتماعية ومشكلات عدم تمكين المرأة وغير ذلك؛ يقدم واحدة من الرؤى الإبداعية للعالم الثالث إزاء قضية التطوير الحضاري، التي يختزلها الكتاب والسياسيون في عبارة واحدة هي "التنمية الاجتماعية والاقتصادية"، والتي تتمظهر في العديد من المؤشرات، وتأخذ العديد من المسارات؛ الاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

ويؤكد في مدخله للكتاب على أن التنمية يمكن النظر إليها باعتبارها عملية توسع في الحريات الحقيقية التي يتمتع بها الناس، ويقول إن التركيز على الحريات البشرية يتناقض مع النظريات ضيقة الأفق حول التنمية، والتي تنظر لها على أنها فقط مجرد عملية لتحقيق النمو الاقتصادي.

ويحدد صن أجندة الحريات المطلوبة، فيركز على الجوانب السياسية في الديمقراطية وحقوق الإنسان، والاقتصادية كما في حرية الحركة عبر الأسواق، بجانب حرية الإعلام بطبيعة الحال.

ويخلص صن في هذا الإطار إلى أن قضية الحريات الأساسية، ومن بينها الحريات الإعلامية والأمور المقترنة بها، تنبني على:

1. أهميتها الجوهرية والأصيلة.

2. دورها المترابط منطقياً من حيث النتائج لتوفير حافز سياسي بشكلٍ يكفل الأمن الاقتصادي.

3. دورها البنائي في نشوء وتطور القيم والأولويات.



مركز سام للدراسات الاستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

وتزداد أهمية وإلحاحية الإطار السابق المشار إليه، في صدد ضرورة دمج الإعلام في استراتيجيات التنمية، في حالة الدول النامية؛ حيث تزداد أهمية تبني الوسائل المختلفة لتحقيق هدف تطوير هذه المجتمعات لنفسها، وتنفيذ خطط التنمية فيها بمختلف الوسائل.

ولا تتم عملية التنمية من دون وجود إدراك شامل ومتوازن لطبيعة القضايا والتحديات التي تواجه الدولة، الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، والتي ينبغي أن يحكم حراك التنمية في إطارها التخطيط العلمي الشامل والمتكامل، من أجل تطوير المستوى الاجتماعي وحالة الرفاه العامة داخل المجتمع، وتحسين مستوى الخدمات المقدمة للمواطن، مثل الخدمات التعليمية والصحية وغير ذلك، وتحسين مستوى الدخل القومي، ورفع المستوى البيئي والثقافي والواقع السكاني.

كما لا يجب إغفال أن خطط التنمية يجب أن تشمل تحسين الجوانب القيمية في حياة الفرد والمجتمع، مثل المحافظة على القيم الدينية وتدعيمها، وهو ما لن يتم من دون وسائل الإعلام المختلفة.

وبالنظر إلى تجربة منظمة "الآسيان"، وهو اختصار لعبارة "اتحاد دول جنوب شرق آسيا" (ASEAN)؛ فإننا سوف نقرأ الكثير من الأدبيات والدراسات الأكاديمية التي تؤكد على أهمية التفاعل مع الجوانب المجتمعية، وخصوصية المجتمعات في أي حراك تنموي، وهو ما لم يكن يمكن أن يحصل، من دون دور الإعلام.

ولأن التنمية، على هذا النحو، ضخمة ومتشعبة، فقد غدت الحاجة ماسة إلى وجود وسائل إعلام فاعلة ومؤثرة يصبح لزاماً عليها، أن تمارس تأثيراً على أفكار وآراء ومعلومات وسلوكيات المجتمع، بما يتفق وخطط التنمية، حتى أن ذلك أدى - كما يقول أحد خبراء الإعلام - "إلى بروز الدور التنموي لوسائل الاتصال الجماهيري".

ويقول الباحث المصري بدر أحمد كريم في كتابه "بحوث اجتماعية"، عن هذا الأمر: "ولما كانت التنمية تستهدف الإنسان في المقام الأول، باعتباره المحرك لكل عناصر التنمية؛ فإننا نستطيع أن نلمس دور تلك الوسائل في إعادة صياغة وتشكيل كثير من الأنماط السلوكية لدى مواطني الدول النامية".

وبالتالي؛ فإن هناك علاقة عضوية وثيقة، وعلاقات تأثير وتأثر بين الإعلام والتنمية، بدت في الكثير من نماذج الحالة في الدول النامية، كما في الهند والصين والبرازيل؛ حيث كان الإعلام



مركز سيم للدراسات الاستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

ويقول الباحث المغربي في مجال الإعلام والاتصال؛ إن العلاقة بين الإعلام والتنمية علاقة عضوية وتكاملية؛ فلا يمكن حدوث تنمية بدون وسائل إعلام تضمن سريناً سليماً للمعلومات، ولا إعلام بغياب تنمية حقيقة، يكون رافداً لها ضمن باقي الروافد، ولا نموذج لحالة في التنمية إذا لم يكن الإعلام والمعلومات ضامناً لصيرورتها.

كما أن العلاقة ما بين الإعلام والتنمية، هي علاقة طردية من أكثر من زاوية؛ فكلما تحققت التنمية، وارتفع منسوب الوعي؛ ازدادت الحاجة للمعلومات، واتسع نطاق العمل الإعلامي ليشمل الجوانب المختلفة للأنشطة الإنسانية، الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وغير ذلك.

ولا يقتصر الإعلام في هذا المجال بالبنى التحتية أو على التكنولوجيا الحاملة للرسالة الإعلامية فحسب، أو الموارد المادية الملازمة لذلك، ولكنه يتعداها لكي يشمل المضامين التي يتم الترويج لها، وكذلك والمعطيات والبيانات والبرامج التي تُعبئ بالرسالة الإعلامية المراد إيصالها إلى الجمهور، وتعطيها المحتوى المراد إكسابها إياه، اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً.

وبالتالي؛ فإن عنصر التنمية والإعلام، متلازمان، ولا يستقيم أحدهما دون الآخر، أو في إغفاله أو في أقصائه، أو في التجاوز على عطائه، ومن ثم، بحسب اليحيوي، فإنهما يستوجبان مستوى معيناً من الحرية، ومن التشاركية في الزمن والمكان، تفتح لهما في الآفاق، وتدفع بتأثير كل منهما إلى أقصى مدى ممكن.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن مفهوم التنمية إنما هو مفهوم شامل، فلا يقتصر على الجوانب الخاصة بالنمو الاقتصادي؛ بل يعني تحولاً شاملاً في البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

واقعا العربي.. اليمن نموذجاً:

في حقيقة الأمر؛ فإننا نواجه ندرة في هذا المفهوم الشامل والتكاملي لقضية التنمية والإعلام، في عالمنا العربي.

ولكن التجارب التي جرت بالفعل؛ تثبت قيمة الإعلام ودوره في هذا الصدد.

ففي فترة حكم الرئيس المصري الراحل، جمال عبد الناصر، وبالذات في مرحلة النهضة في الستينيات؛ كان الإعلام ركناً ركيناً من التجربة التنموية الناصرية.



مركز سام للدراسات الاستراتيجية SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

فقامت الدولة بتنشيط وسائل الثقافة والإعلام الجماهيرية، التي وصلت إلى أعماق المجتمعات الريفية غير المؤهلة بعد للتعامل مع وسائل الإعلام الأخرى، مثل الصحف، كما تم تأسيس التلفزيون العربي لذات الغرض.

وبمفهوم الإعلام الواسع؛ فقد كانت وزارة الإرشاد القومي، ووزارة المعارف، والأطر التابعة للاتحاد الاشتراكي العربي، مثل التنظيم الطبيعي؛ على رأس الأمور التي اهتمت الدولة بتنشيط أدوارها.

وذات الأمر تكرر في العراق وقت تجربة حكم حزب "البعث" القومي، وبالذات في فترة الرئيس الراحل صدام حسين، عندما وصلت العراق في عهده إلى مستوى أهلها لتكون الأفضل على مستوى العالم الثالث في مؤشرات الصحة والتعليم والبنية التحتية.

وهو نسق من الأهمية بمكان التأكيد على أمرين مهمين في الحالة اليمنية.

الأمر الأول؛ هو أنه كان هناك عوزٌ أو نقصٌ في آليات التعامل الإعلامي مع العملية التنموية التي تمت، لتهيئة المجتمع والحصول على تأييده لها، والثاني، أنه كان هناك غيابٌ لعمق التوزيع العادل للثروة، مما أدى إلى فقدان دعم قسم كبير من المجتمع، ولاسيما الأوساط الجنوبية التي كان من المفترض تقديمها في الحراك التنموي في ظل الشكوك التي سادت في السنوات الأولى للوحدة اليمنية.

وبالتالي؛ فإن أول الأمور التي ينبغي اللجوء إليها في مرحلة ما بعد الحرب واستعادة سلطة الدولة، هو العمل على إقامة إطار إعلامي يخاطب مختلف شرائح الجمهور اليمني، وفي كل منطقة من مناطق اليمن.

على أن يستند هذا الخطاب إلى أمرين أساسيين؛ الأول، أن الوطن بحاجة إلى كل أبنائه من أجل عملية إعادة البناء، ثم الانطلاق الحضاري، وأنه سوف ينبغي أن تكون هناك أثماناً مدفوعة من اليمنيين، يقدمونها لأجل وطنهم.

والأمر الثاني؛ هو أن عملية التنمية لن تستثني أحداً، وفق مبدأ المشاركة في السلطة والثروة، وعلى قاعدة المواطنة التي لا تفرق بين يمني وآخر، أو بين منطقة وأخرى في اليمن.

أحمد التلاوي: باحث مصري في شؤون التنمية السياسية، وكاتب أساسي في مركز سام للدراسات الاستراتيجية



مركز محمد السادس للأبحاث الاستراتيجية
SAM CENTER FOR STRATEGIC STUDIES

